الباب السادس

أخبار عن القدس فى مختلف العصور

أسماء القدس ــ أسوار القدس ــ زلازل القدس ــ مياه القدس

obeikandl.com

obeikandl.com

أسماء القدس

للقدس عدة أسماء ، سميت بها على مر الدهور ، تبعاً للأمم والشعوب التى استوطنتها . ومن هذه الأسماء :

(يبوس) نسبة لليبوسيين . فقد ورد هذا الاسم فى سجلات الفراعنة هكذا (يابيثى) . وأسماها الكنعانيون (أوروسالم) أى مدينة السلام . وعرفها الفراعنة بهذا الاسم أيضاً . ولهذا يعتقد الكثيرون أنها كنعانية الأصل .

وقيل إن (أورو — سالم) بابلية الأصل آرامية[1] وسواء كان أصل هذا الاسم كنعانياً أو آشورياً أو بابلياً منحدراً عن الآرامية ، فإن التسمية العبرية التى عرفت فيما بعد وهى (أورشليم) مشتقة عنها . وأن القول بأن هذا الاسم عبرانى زعم باطل . .

ذكرها الفيروز آبادى فقال إن شلم ، شليم ، شلم . اسم البيت المقدس . وقال ياقوت إن شاعراً من شعراء الجاهلية أسماها « أورسلمو » . ولكنا لم نعثر على هذا الاسم فى الكتب ؛ لا ، ولا قرأنا الشعر الذى ذكره فى هذا الصدد

ومن أسمائها (مدينة داود) و (صهيون) . وأسماها اليونانيون (يروساليم) . وأضفى عليها المؤرخ اليهودى يوسيفوس حلة هيلينية ، فأسماها (هيروسلما) . وكانت فى أوائل الفتح الرومانى تدعى (هيروسليما) . ثم صارت (هيروساليا) . ومن هنا أخذت الأمم الأوربية اسمها المعروف (جيروسالم) . وعندما حاصرها تيطس (٧٠ م) كان الرومان يسمونها (سوليموس) . وفى عام (١٧٥ م)

---

(١) The Egyptian Empire in Asia

سمعناهم ينادونها (سوليما) . وسماها المكابيون (يروسوليما) .

وفى سنة ١٣٩م أسماها الإمبراطور أدريانوس (إيليا كابيتولينا) . وظلت تعرف بهذا الاسم (إيليا) حتى أوائل الفتح الإسلامى . وكذلك سميت فى العهدة العمرية . قال ياقوت[١] : إن (إيلياء) و (الياء) اسم لبيت المقدس . ومعناه بيت الله .

قال الفرزدق :

وبيتان: بيت الله نحن ولاته وقصر بأعلى إيلياء مشرف

وقال صاحب مثير الغرام إن من أسمائها : إيليا ، إليا ، إلياء .

وجاء فى إتحاف الأخصا أن من أسمائها : (بيت إيل) ومعناه بيت الرب . ومن أسمائها[٢] (القرية) ، وإلى ذلك تشير الآية :

(ادخلوا هذه القرية ، فكلوا منها حيث شئتم رغداً ، وادخلوا الباب سجداً ، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم) . ومنها (الأرض المباركة) وإلى ذلك تشير الآية : (ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) . ومنها (الساهرة) جاء فى الآية : (فإذا هم بالساهرة) .

ومن أسمائها : (بيت المقدس)[٣] و (البيت المقدس)[٤] و (الأرض المقدسة) .

روى أن مروان بن الحكم قال يوماً للفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

ودع المدينة إنها محذورة والحق بمكة أو ببيت المقدس

---

(١) (معجم البلدان) ص ٤٢٤ .

(٢) (اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى) للسيوطى ١٢ – ٢٠ .

(٣) (التاريخ الكبير) لابن عساكر ص ٤٥ .

(٤) ابن حجر العسقلانى . والأستاذ عيسى إسكندر المعلوف فى (مجلة المقتبس) ج ٨ ص ٥٧٤

وذكر ابن حجر العسقلانى البيت المقدس فى شعره فقال :

إلى البيت المقدس جئت أرجـــو جنان الخلـــد نزلا من كريم
قطعنا فى مســـافته عقـــاباً وما بعـــد العقاب سوى النعيم

ومن أسمائها : (المسجد الأقصى) وفى ذلك نزلت الآية الكريمة : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) . ومنها : (الزيتون) . وفى ذلك نزلت الآية (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) . قال ابن عساكر نقلا عن ابن عباس : « إن التين بلاد الشام ، والزيتون بلاد القدس ، وطور سينين الجبل الذى كلم الله موسى عليه . وهذا البلد الأمين مكة » .

ومن أسمائها : (القدس) قال الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف فى الجزء الثانى من مجلة المقتبس ما يلى : « ولعل أقدم من ذكرها بهذا الاسم المطران سليمان الغزى أسقف غزة والشام حوالى القرن الرابع عشر للميلاد . إذ قال : أيدعوك للقدس الخيال الذى يسرى فهل لك فى ترك الزيارة من عذر . وأما أنا فأقول : إن المؤلفين العرب ذكروا (القدس) فى مؤلفاتهم قبل ذلك التاريخ بزمن طويل . فقد ذكرها أبو العلاء المعرى فى شعره (٥٤٩ هـ ١٠٥٧م)

يا شاكى النوب انهض طالباً حلبـــا نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس
واخلع حذاك إذا حاذيتها ورعـــاً كفعل موسى كليم الله فى القدس

وللعماد الأصفهانى كتاب اسمه (الفتح القسى فى الفتح القدسى) ١٢٠٠ م . ولأبى الفرج التميمى المعروف بابن الجوزى كتاب اسمه (فضائل القدس) ١٢٠٠ م . وللقاضى أمين الدين بن هبة الله الشافعى (الأنس فى فضائل القدس) ١٢٠٦ م . ولشهاب الدين بن سرور المقدسى (مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام) ١٣٦٣ م . ولمحمد بن إسحق القدسى كتاب اسمه (تاريخ القدس) ١٣٧٤ م .

هذه وغيرها من الكتب تدلنا على أن اسم القدس كان معروفاً منذ أوائل الحكم الإسلامى فى هذه البلاد . وقد احتفظ الأتراك فى بادئ الأمر باسم (القدس) . ثم أضافوا إليها وصف الشرف فراحت تعرف باسم (القدس الشريف) . وعرفت بذلك طيلة وجودهم فى البلاد (١٥١٧ — ١٩١٧ م) .

ومهما قيل فى أسمائها ، فإنها تستحق القول الذى قاله فيها أمير الشعراء شوقى :

بلد على أرض الهـــدى وسمـــائه المجد حائطه ورأس بنـــائه
بلد بنـــوه الأكرمون قبورهم وقصورهم وقف على نـــزلائه

أسوار القدس

هناك سور حول القدس القديمة ، له تاريخ شائك وقديم . وقد لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إنه قام حول القدس ، وعلى مر الأجيال ، عدة أسوار لا سور واحد[١] . فما من أمة دخلتها إلا فكرت فى تحصينها ، وإقامة الأسوار حولها . ذلك لأنها كانت ، على مر العصور ، محط أنظار الجيوش والغزاة الفاتحين .

ولقد حدثنا التاريخ أن أول من فكر فى بناء السور حول المدينة هم (اليبوسيون) . فقد كان ذلك حوالى ٢٥٠٠ قبل الميلاد . ولا صحة للقول بأن السور الأول من صنع داود ، أو من صنع ولده سليمان . وكل ما فعله داود وسليمان أنهما رمما الجزء الذى كان اليبوسيون قد بنوه من قبلهما . وكان عليه يومئذ ستون برجاً . وكان يمتد من الأحياء الغربية فى البلدة القديمة (باب الخليل وحى الأرمن والنبى داود) حتى التلال الواقعة شرقى الحرم .

---

(١) Palestine Past and Present by L. Valentine. P. 33.

هذا هو السور الأول :

ولقد خرب جانباً منه (يهوآش بن يهوآحاز) ملك إسرائيل ، يوم تغلب هذا على أمصيا ملك يهودا سنة ٧٩٠ ق م .

وأما السور الثانى فقد بناه الملك (منسه) أثناء الاحتلال الأشورى (٦٤٤ق .م) ولقد ضم هذا السور الأحياء التى أنشئت بعد العهد اليبوسى ، ومنها المواضع التى تقوم عليها الآن حارة النصارى والواد . وكان عليها أربعة عشر برجاً . ويظهر أن هذا هو السور الذى كان حول القدس عندما احتلها نبوخذ نصر فهدمه (٥٨٦ ق . م)

ولقد استغل نحاميا الفرصة فى زمن الفرس ، فبنى (٤٤٠ ق م) ما تهدم من السور . وكان يومئذ يحيط بجبل صهيون وبجبل موريا من الشرق حيث يقوم الحرم الآن . بناه ليلا وفى حذر شديد . ذلك لأن سكان البلاد المجاورة[1] من حورونيين وعمونيين وغيرهم ما كانوا راضين عن عمله ، ولقد قاوموا مشروع نحاميا من حيث تعمير السور . وكان اليهود يخشون بطشهم . ولولا حراب الفرس التى كانت تحمى اليهود لما تم بناء السور فى ذلك الحين .

وعندما احتل بطليموس الأول القدس دك جانباً من سورها (٣٢٠ ق . م) وعندما احتلها أنطونيوس إبيفانوس دك جانباً آخر منه (١٦٨ ق . م) وأتى الفاتح الرومانى بومبيوس (٦٣ ق م) على ما تبقى منه . وفى قول إن بعض أجزاء السور الذى بناه نحاميا ظلت قائمة حتى زمن هيرودس الملك . فأضاف إليها هذا بعض الأبراج ليقى بها قصره ، وكان يقوم فى البقعة التى تقوم عليها الآن كنيسة المسيح وثكنة البوليس ودير مار يعقوب .

وأما السور الثالث فقد شرع اليهود فى بنائه فى العهد الرومانى فى زمن

---

(١) (هيكل سليمان) ليوسف الحاج ص ١٤٨ .

الحاكم هيرودس أغريبا (٣٧ — ٤٤ للميلاد) . غير أن إمبراطور الرومان قلوديوس منعهم من متابعة العمل يومئذ . فأتموا بناءه أثناء حصار تيطس (٧٠ م) . ولقد ضم هذا السور ، بالإضافة إلى الأحياء التى ذكرناها فى السطور المتقدمة ، الأحياء التى تحيط بمدارس الفرير عند الباب الجديد وقبور السلاطين وباب الساهرة وما يلى ذلك وكان له تسعون برجاً . ودمر جانب من هذا السور من لدن تيطس (٧٠ م) والجانب الآخر من لدن أدريانوس (١٣٥ م) . وإنك لترى فى يومنا هذا بقاياه فى مواضع مختلفة على مقربة من مدرسة المطران على طريق نابلس ، ومن بقاياه أيضاً الباب ذو القوس المدفون عند باب العمود .

وأقامت الملكة أفدوكسيا ، زوجة الملك تيؤدوسيوس (٤٣٨ — ٤٤٣ م) سوراً جديداً حول المدينة . وقيل إن هذه الملكة أدخلت قرية سلوان فى السور الذى بنته . ولقد دك الفرس هذا السور عندما احتلوا القدس (٦١٤ م) . وقبل أن تسقط هذه فى يد الصليبيين أرجع السور إلى ما كان عليه فى زمن أدريانوس . وعمره الصليبيون حوالى القرن الثانى للميلاد . كما عمره صلاح الدين عندما فتح المدينة (١١٨٧ م) . وجدد أبراجاً حربية من باب العمود إلى باب الخليل ، وحفر خندقاً حوله : وكان يشرف على العمل بنفسه وكثيراً ما حمل الحجارة على كتفه . وقد استخدم فى تعمير السور عدداً من أسرى الفرنجة[1] . وفى سنة (١٢١٩ م) هدم الملك المعظم عيسى جزءاً كبيراً من السور . كما خرب الأبراج كلها خشية أن يستولى الفرنج عليها . ولما دارت مفاوضات الهدنة بين المسلمين والصليبيين (١٢٢١ م) اشترط الصليبيون أن يدفع المسلمون خمسمئة ألف دينار ليعمروا بها السور ، فرفض المسلمون ذلك ، ورجع القتال .

---

(١) (الأنس الجليل) للقاضى مجير الدين ج ١ ص ٣٣٨ .

ولما عقدت الهدنة بين الملك الكامل والإمبراطور فردريك (١٢٢٨ م) ، وكان من شروطها تسليم القدس إلى الفرنج ، اشترط الملك ألا يعمروا السور الذى خربه الملك المعظم عيسى .

ولقد رمم السور فى بعض نواحيه فى أيام الملك العادل زين الدين (١٢٩٥ م) . وفى زمن الملك المنصور قلاون (١٣٣٠ م) . والسور الذى نراه فى يومنا هذا هو الذى جدده سليمان القانونى ، ودامت عمارته خمسة أعوام (١٥٣٦ — ١٥٤٠ م) . وأضاف إليه عدداً من الأبراج . وهناك فوق الأبواب كتابات منقوشة على الجدران تشير إلى ذلك .

ومما يؤثر عن السلطان سليمان الخبر الذى يتناقله الأبناء عن الآباء من أنه (أى السلطان سليمان) أمر بقطع رأس المهندس الذى عمر السور ، لأنه لم يدخل فيه مقام النبى داود . وأخذ بعض كتاب الفرنجة عنهم هذه الأسطورة. فذكروها فى مؤلفاتهم .

ويظهر أن جدران الخندق الذى بناه صلاح الدين ، تهدمت مع الزمن فجدد بناءها (١٧٣١ م) السلطان محمود بن السلطان مصطفى خان من آل عثمان .

وعلى ذكر السور نقول إن له فى يومنا هذا أربعة وثلاثين برجاً وسبعة أبواب هى :

باب الأسباط (من الشرق) . باب الساهرة وباب العمود (من الشمال) . الباب الجديد (من الشمال الغربى) . باب الخليل (من الغرب) . باب النبى داود وباب المغاربة (من الجنوب) . وكانت هذه الأبواب حتى أواسط القرن التاسع عشر تغلق عند غروب الشمس ، وتفتح مع الفجر . ولما شرع الناس فى بناء المنازل خارج السور (وكان ذلك حوالى سنة ١٨٥٨ للميلاد) فتحت

لأبواب . وراح الناس يغشونها ليلا ونهاراً .

إنه بوضعه الحالى متين للغاية . محيطه ميلان ونصف الميل ، طوله من الشمال ٣٩٣٠ قدماً ومن الشرق ٢٧٥٤ قدماً ومن الجنوب ٣٢٤٥ قدماً ومن الغرب ٢٠٨٦ قدماً وأما ارتفاعه فيتراوح بين ٣٨ قدماً و ٤٠ قدماً .

زلازل القدس

نزلت بالقدس ، من جراء قدسيتها وتكالب الأمم على امتلاكها ، نكبات وحروب كثيرة . وكأن تلك النكبات والحروب ما كانت تكفى لإزهاق أرواح سكانها ، فقد حبتها الطبيعة أيضاً بعطفها ، فصبت عليها الزلازل مراراً عديدة . وكانت هذه فى بعض الأحايين تأتى شديدة ؛ فتدكها دكاً ، وتجعل عاليها سافلها . كالزلزال الذى حدث عام ٧٨٠ قبل الميلاد . والذى ذكره يوسيفوس فقال إنه شق الجبل فغارت الطرق ، واندكت الأبنية[١] .

والزلزال الذى حدث عام ٣١ ق م على عهد هيرودس الملك . فقد ذكره جورج آدم سميث[٢] فقال إن هذا الزلزال أتى على عدد كبير من المواشى والأبقار . ومات تحت الأنقاض قرابة عشرة آلاف شخص .

وكذلك قل عن الزلازل التى حدثت بعد الميلاد فى ٣٦٢ — ٤١٩ — ٦٣١ — ٦٥٨ — ٧١٢ — ٧٤٦ — ٧٥٥ — ٧٧٥ — ٨٤٧ — ٨٥٦ — ٨٥٩ — ٩٦٥ — ١٠١٦ — ١٠٣٤ — ١٠٣٦ — ١٠٦٢ — ١٠٦٧ — ١٠٦٩ —

---

(١) "The Antiquities of the jews by josephus.

(٢) "The Historical Geography of the Holy-Land" by George Adam Smith.

١٠٩١ — ١١٠٥ — ١١١٧ — ١١٣٧ — ١١٣٨ — ١١٥٧ — ١١٦٩ — ١١٨٢ — ١٢٠٠ — ١٢٠٣ — ١٢١١ — ١٣٠٢ — ١٣٤٣ — ١٤٥٨ — ١٤٩٦ — ١٤٩٧ — ١٥٤٥ — ١٦٠١ — ١٧٥٩ — ١٧٨٢ — ١٨٣٤ — ١٩٢٧ .

وأهم هذه الزلازل هو الذى حدث عام ٧١٢ م . إذ دام فى القدس وفى سائر أنحاء الشام زهاء أربعين يوماً . وأما الزلزال الذى حدث عام ١١٣٨ م ، فقد شمل معظم الكرة الأرضية ، وليس القدس وحدها . وتكررت الزلازل فى تلك الفترة من الزمن بشكل مخيف قرأنا عنه الشىء الكثير فى (مرآة الزمان) وفى (النجوم الزاهرة) . وفى كتب التاريخ[1] .

وأما الزلزال الذى حدث عام ١٢٢٠ م ، فقد عم بلاد الشرقين الأوسط والأدنى ، وخرب ما لا يحصى من الدور . وقتل من جرائه زهاء مليون ومئة ألف نسمة . وكذلك قل عن الزلزال الذى حدث فى عام ١٤٩٦ م . فقد ذكره مجير الدين فقال إنه لم يترك بيتاً علوياً فى بيت المقدس إلا هدمه .

وحدث فى القدس عام ١٧٥٩ م زلزال تهدم من جرائه معظم ما فيها من منازل وعدد كبير من القرى والقلاع . ويذكر أبناء الجيل الحاضر ، ولا شك ، الزلزال الذى حدث فى عام ١٩٢٧ والذى قتل من جرائه خلق كثير وخربت أملاك واسعة . وتبرع سكان بيت المقدس بأحد عشر ألف جنيه للفقراء وأصحاب الأملاك الذين تخربت منازلهم . وكذلك قل عن الزلزال الذى حدث بعد ذلك بعشر سنين : ١٩٣٧ .

---

(١) (مرآة الزمان) لسبط بن الجوزى و (النجوم الزاهرة) لابى المحاسن تغرى بردى (وكشف الصلصلة عن وصف الزلزلة) للشيخ جلال الدين السيوطى و (الأنس الجليل) للقاضى مجير الدين الحنبلى .

مياه القدس

عرفت القدس منذ القدم بندرة مائها . وكان تزويدها بالماء ، على مر العصور ، أمراً إدًّا . ذلك لأنها قائمة على تلال مرتفعة لا ينبع الماء فيها . وكان جل اعتمادها فى العصور الغابرة على مياه الأمطار وعلى الينابيع الضئيلة الواقعة فى سلوان[١] .

ومن هذه الينابيع :

(عين أم الدرج) . ذكرها أبو العلاء المعرى فى شعره فقال[٢] :

وبعين سلوان التى فى قدسها طعم يوهم أنه من زمزم .

ومنها : (بركة سلوان) إلى الجنوب من عين أم الدرج . و (البركة التحتانية) إلى الجنوب الشرقى من بركة سلوان ويسمونها البركة الحمراء . و (بئر أيوب) على بعد ألف قدم من البركة الحمراء . ومنها يتفجر الماء فى فصل الشتاء .

ومنها : (عين اللوزة) على بعد خمسمئة متر من بئر أيوب إلى الجنوب .

وفى القدس صهاريج كثيرة ، لاتكاد تحصى ، تتجمع فيها مياه الأمطار . وفيها برك كبيرة أيضاً حفرها الأقدمون لهذه الغاية .

ومن هذه البرك : بركة ماملا . وبركة السلطان . وبركة حزقيا . وبركة إسرائيل .

---

(١) قرية واقعة إلى الشرق الجنوبى من القدس ، وعلى قيد بضع خطوات منها . لا ، بل إنها تكاد تعتبر اليوم حياً من أحيائها .

(٢) من مقال للأستاذ المرحوم إسعاف النشاشيبي فى العدد ١٤ من جريدة (الوحدة) بتاريخ ١ شوال ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥م) .

أما (بركة ماملا) فإنها أقدم هذه البرك عهداً وأكبرها حجماً وأكثرها شهرة . إنها واقعة غربى المدينة . ولقد ساير تاريخها تاريخ المدينة فى جميع أدوارها . إنها تعنى (ماء ميلو) . وميلو اسم الحى الذى نصب فيه سليمان ملكاً (١٠١٥ ق . م) وهو المكان الذى عسكر فيه سنحاريب ملك الأشوريين عندما هبط القدس (٧١٠ ق . م) وهو المكان الذى ألقى فيه الفرس بجثث المسيحيين الذين قتلوهم عند احتلالهم المدينة (٦١٤ م) . وفى هذا المكان دفن عدد كبير من الصحابة والمجاهدين الذين اشتركوا فى الفتحين : العمرى (٦٣٦ م) والصلاحى (١١٨٧ م) .

وأما (بركة السلطان) فإنها واقعة بين الخليل ومحطة السكة الحديدية ، على طريق بيت لحم ، وعلى بعد بضع مئات من الأمتار من سور المدينة . لا نعرف متى أنشئت ؟ أو من الذى أنشأها ؟ وإنما نعلم أنها عمرت فى زمن الملك الظاهر برقوق (١٣٩٨ م) وفى زمن السلطان سليمان القانونى (١٥٣٨ م) .

وأما (بركة حزقيا) فإنها واقعة بين سويقة علون وحارة النصارى ، على بعد مئتى متر من القلعة إلى الشمال الشرقى . وتسمى أيضاً بركة البطرك وبركة حارة النصارى . سميت كذلك لأن الذى أنشأها هو الملك حزقيا . أنشأها داخل السور عام (٧٠١ ق م) ليتمكن من مقاومة الأشوريين الذين جاءوا فحاصروا المدينة بقيادة سنحاريب . وهى الآن وقف على الخانقاه الصلاحية[1].

ومنها (بركة إسرائيل) بين باب الأسباط وباب حطة ، وكانت قديماً تدعى بركة الضأن ، أو بركة الغنم .

ولقد اهتم الرومان بمشروع المياه . وهم أول من فكر فى تزويد القدس بماء العروب . فأنشأوا القناة الرومانية المعروفة . ولقد تم ذلك على عهد هيرودس (٣٠ ق م) إذ جر هذا مياه العروب إلى برك سليمان عبر قناة حجرية شقها

---

(١) (الأنس الجليل) مجير الدين . ص ٤٠٩ .

بين الصخور . وألمت بهذه القناة مع الزمن عوامل الخراب . فأراد الوالى الرومانى بيلاطس بونتيوس أن يعمرها (٢٦ — ٣٦ ق . م) فلاقى من اليهود ما لاقى من الصعاب فى سبيل تنفيذ مشروعه[١] . فقاتلهم . وقمع ثورتهم بشدة . ووضع يده على أموال هيكلهم ، وبهذا تمكن من تعمير القناة . وهناك من يقول[٢] إن بيلاطس هذا هو المنشئ الأول لهذه القناة .

وهناك قناة أخرى أنشأها الرومان فى أواخر القرن الثانى للميلاد (١٩٥ م) . أنشأها الإمبراطور سبتيموس سفيروس . وهى قناة حجرية قطرها ٣٨ سنتيمتراً . وخربت القناتان الرومانيتان مع الزمن . ولا سيما عندما هجرت القدس بعد تخريبها من لدن تيطس (٧٠ م) وأدريانوس (١٣٥ م) .

ولما استعادت القدس أهميتها فى الفتح الإسلامى ، راح المسلمون يهتمون بأمر تزويدها بالماء . ويقول المستر بودزى مدير مصلحة الأشغال العامة بحكومة فلسطين فى تقريره ذى الرقم ١٨٠ بتاريخ حزيران ١٩٣٨ م : إن مشروع الماء على عهدهم كان متيناً إلى درجة أن الصليبيين عندما حاصروها قاسوا أشد العذاب من جراء العطش وقلة الماء بينما كان سكان القدس أنفسهم فى مأمن من هذه الناحية . وكانت لديهم فى داخل المدينة مقادير وافية من الماء .

ظلت القدس بعدئذ تستقى الماء من برك سليمان بوساطة قناة عرفت بقناة السبيل . ولقد عمرت هذه القناة مراراً على يد المماليك . فذكرها المقدسى (٩٨٥ م) وناصرى خسرو (١٠٤٧ م) . وقد اهتم بتعميرها السلطان الملك العادل (١٢٠٢ م) . والملك الظاهر بيبرس (١٢٦٦ م) . والأمير تنكز الناصرى[٣] (١٣٢٦ م) . والملك الظاهر برقوق (١٣٨٢ م) . والملك الظاهر

---

(١) رسائل بيلاطس ص ٩٥ — ١٠٢ .

(٢) "Guide to Beithlehem" by R.W. Hamilton. PP. 34-35.

(٣) (السلوك فى معرفة دول الملوك) للمقريزى ج ٢ ص ٣٠٢ .

خوشقدم (١٤٦٠ م) . والملك الأشرف قايتباى (١٤٨٣ م) .

ولقد أعار الأتراك العثمانيون مشكلة الماء عناية خاصة ، فعمروا القناة المتقدم ذكرها فى زمن السلطان سليمان (١٥٣٧ م) ، وهو الذى أنشأ معظم السبل الكائنة فى المدينة وفى أطراف الحرم . والسلطان مراد الرابع (١٦٢٢ م) ، وعلى عهده جددت عمارة (سبيل شعلان) ، وبنيت القلعة الواقعة على طريق الخليل بقصد حماية برك سليمان وتأمين وصول الماء إلى القدس .

وعمرت قناة الماء أيضاً على يد متسلم القدس كنج أحمد أغا (١٨١٢ م) . وعلى يد متصرفها كامل باشا (١٨٥٦ م) . وثريا باشا (١٨٦٠ م) . وفى عام ١٨٩٩ احتفل بوصول مياه أرطاس إلى بركة السلطان فى حفل حضره كبار رجال الحكومة وجمهرة من رؤساء الشعب .

بقى أن نعلم أين تنبع المياه التى تحملها إلينا هذه القناة . هناك (وادى العروب) وقد تقدم ذكره . إنه واقع بين الخليل والقدس وعلى بعد ٢٢ كيلو متراً من الأخيرة . ينبع الماء فيه من عدة عيون هى : (١) فريديس (٢) عد المزرعة (٣) الفوار (٤) عين البص (٥) عين البرادة (٦) عين الدلبة (٧) عين قوزيبا . وهناك (وادى البيار) إنه عند الكيلو ١٨ على طريق الخليل . فيه خمسة ينابيع هى : (١) رجم السبيط (٢) رأس العد (٣) عين فاغور (٤) خربة القط (٥) عين العصافير .

وهناك أيضاً (البالوع) إنه فى السهل الواقع شرقى الخضر عند الكيلو ١٣ على طريق الخليل . وهناك (عيون أرطاس) وهى أربعة :

(١) عين عطن (٢) عين الفروجة (٣) عين صالح (٤) عين البرك .

إن المياه التى تتفجر من هذه العيون تنصب فى (برك سليمان) . خلا عين عطان فإنها لا تنصب فى البرك بل تسيل فى القناة رأساً . وعدد هذه البرك ثلاث . ويدفع الماء منها بمضخات وآلات حديثة ، ويسيل فى أنابيب ، بعضها

حجرية والبعض الآخر حديدية ، فيصل إلى القدس .

ظلت القدس تستقى الماء عن طريق برك سليمان حتى عام ١٩٢٦ م . ولما كثر عدد السكان ، راحت الحكومة تبحث عن ينابيع جديدة ، ووجدت ضالتها فى (عين فارة) على بعد ١٤ كيلو متراً من القدس إلى الشمال الشرقى . فجرت مياهها للقدس ، وفى عام ١٩٣١ م عززته بالماء من (عين الفوار) على بعد ستة كيلو مترات من عين فارة إلى الشرق . وفى عام ١٩٣٥ م راحت تستقى الماء من (عين القلط) . ورغم أن مقادير المياه التى كانت تصل إلى القدس من هذه العيون بلغت فى عام ١٩٣٥ م (٥٩٣,٠٠٠,٠٠٠ غالوناً) فإن القدس لم تتخلص من ذل العطش بسبب ازدياد عدد سكانها واتساع العمران . ولهذا فكرت الحكومة أن تحل المشكلة عن طريق (رأس العين) ويتلخص هذا المشروع بالكلمات الآتية :

(رأس العين) تبعد عن القدس ٣٧ ميلا وهى إلى الشمال الغربى منها . إنها أعلى من سطح البحر بعشرين متراً وأقل انخفاضاً من القدس بـ ٢,٧٥٠ متراً . فبها نبع غزير ، ينبع منه ألف غالون من الماء فى الساعة الواحدة . وماؤها عذب للغاية . ولقد تمكنت الحكومة من جر الماء من هذه العين إلى القدس سنة ١٩٣٥ م . وذلك فى أنابيب طولها ستون كيلو متراً ، وقطرها ١٨ بوصة ، بعضها فولاذى والبعض الآخر حديدى . وهناك بين رأس النبع ومدينة القدس أربع محطات ، فى كل واحدة منها ثلاث مضخات ضخمة لدفع الماء : الأولى عند (رأس العين) والثانية فى (اللطرون) والثالثة عند (باب الواد) والرابعة فى (قرية ساريس) . ولقد أنفقت الحكومة على هذا المشروع ٣٦٠,٠٠٠ جنيه فلسطينى . وكانت هى المسؤولة عن إدارته من رأس النبع حتى مدخل المدينة ، وفى مدخلها تتسلم البلدية المشروع ، وتصبح مسؤولة عنه وعن إيصال المياه إلى منازل السكان . وكانت المدينة تستهلك

من ماء رأس العين ١,٦٥٠,٠٠٠ غالون فى اليوم الواحد عام (١٩٤٥) ومع هذا فإنه لا غنى للقدس عن مياه الأمطار .

وعلى ذكر الأمطار نقول : إن فى القدس ثمانية عشر مرصداً لتسجيل الأمطار. وأثبتت الأرقام التى تم تسجيلها فى غضون مائة السنة الأخيرة أن المعدل السنوى للأمطار التى هطلت على مدينة القدس بلغ ٥٨٣ ملّيمتراً .

obeikandl.com